نمط البيئة الحضرية وعلاقتها بتشكيل سلوك الفرد

The pattern of the urban environment and its relationship to an individual's behavior

1.د.عماد بوروح Imad bourouh- جامعة باتنة -1- الحاج لخضر imad-bou@outlook.fr

تاريخ الإرسال: 2021/10/30 تاريخ القبول: 29/ 12/ 2021 تاريخ النشر : 30/ 12/ 2021

ملخص:

إن العلاقة بين الإنسان والبيئة لا تقف عند الحدود الانتفاعية، ولكن تمتد لتمس النواحي النفسية والاجتماعية للفرد، عن طريق التصرفات اللاإرادية أو المكتسبة التي تحدد وتضبط أفعاله وسلوكاياته ضمن خصائص هذا الفضاء العام، وبالتالي فنمط البيئة ينعكس بالدرجة الأولى على سلوكيات وأفعال قاطنيها، على اعتبار أن البيئة الحضرية والتصميم الدقيق لعناصرها ومتطلباتها من شأنه توجيه السلوك الإنساني وفق ما يحقق نوعا من التكامل والانسجام بين البيئة والسلوك الإنساني المتحضر، في حين أن نمط البيئة المتخلفة يمكن لها أن تنعكس سلبا على سلوك الفرد، وتعمل على تشكيل منظومة قيمية لسلوكيات وأفعال متخلفة وغير حضارية.

وعليه يسعى هذا المقال إلى الوقوف على **طبيعة العلاقة بين نمط البيئة الحضرية وتشكيل سلوك الفرد**، من خلال التطرق لماهية البيئة الحضرية وماهية الشخصية والسلوك، والعلاقة بين طبيعة أو نمط البيئة الحضرية وسلوك الفرد.

كلمات مفتاحية: نمط.، بيئة حضرية.،تشكيل.،الشخصية.، سلوك.

Abstract:

The relationship between human beings and the environment does not stand at the confluence of benefit, but extends to the psychological and social aspects of the individual, by means of the unacceptable or acquired actions that define and regulate his or her actions and behaviour within the characteristics of this general space, and thus the pattern of the environment is primarily reflected in the behaviour and actions of his or her residents, considering that the urban environment and the precise design of its elements and requirements can guide human behaviour in a manner that brings about harmony and integration.

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج

الرقم الدولي المعياري ISSN:2602-702X الترقيم الدولي الالكتروني: 2592-2773

الايداع القانوني :ديسمبر 2017

therefore This article seeks to determine the nature of the relationship between urban environment pattern and the formation of one's behavior, by addressing the meaning of the nature of urban environment, personality and behavior, and the relationship between the nature or pattern of urban environment and individual behavior.
Key words: Mode; urban environment; formation; The character (personality); Behavior.

مقدمة:

إن التطرق لموضوع البيئة الحضرية ونمطها يدفع نحو البحث عن طبيعة السلوك الإنساني ضمن هذا النسق بكل ما يحمله من عناصر ومكونات مادية ولا مادية، ومدى التأثير المتبادل بين نمط البيئة الحضرية و وتجليات سلوك الأفراد وامتثالهم لخصوصية هذا الفضاء العام.

فالبيئة الحضرية بمختلف أنماطها سواء المتقدمة أو المتخلفة (الجانب المادي والمعنوي)، لها تأثير في نمط التفكير وفي أشكال السلوك وتصرفات الأفراد، فالتصميم الدقيق والمنظم لعناصر البيئة الحضرية ومتطلباتها يساهم في توجيه سلوك الأفراد بما يساعد على تحقيق نوع من التكامل والانسجام، كما أن شخصية الفرد والتي يكتسبها من خلال التفاعل مع البيئة الحضرية ومعطياتها، والتي تتبلور في سلوكات وأفعال تمارس ضمن هذا المجال البيئي، تساهم بشكل كبير في التأثير على البيئة الحضرية وتشكيل نمطها،وبالتالي تظهر هناك علاقة قائمة بين نمط البيئة الحضرية وسلوك الفرد، الذي يعتبر جزء منها أو منتوج تفاعل بين الفرد والبيئة، ويهدف من خلالها إلى أن يغير سلوكه فيقيم علاقة أكثر تآلفا مع بيئته بأن يتكيف أو ينسجم ويتوافق معها ويساهم بذلك في تحقيق الانسجام والتوازن داخل النسق،أو قد يحدث العكس، مما يساهم في بروز اختلالات وظيفية قائمة بين نمط البيئة الحضرية وشخصية الفرد التي تتمظهر في أشكال السلوك المنحرف والفعل غير السوي.

وعليه تسعى هذه الورقة البحثية في سياقاتها النظرية إلى محاولة فهم وتقصي العلاقة بين نمط البيئة الحضرية ومدى مساهمتها في تشكيل سلوك الفرد من خلال طرح **التساؤل الرئيسي** التالي :

هل هناك علاقة بين نمط البيئة الحضرية وتشكيل سلوك الفرد ؟

كما تطرح هذه الورقة مجموعة من **التساؤلات الفرعية**:

- ما المقصود بالبيئة الحضرية و سلوك الفرد؟ ماهي العلاقة بين طبيعة أو نمط البيئة الحضرية و تمظهرات سلوك الفرد ضمن هذا النسق؟ هل تتأثر منظومة سلوكيات وأفعال الأفراد بنمط البيئة الحضرية وخصائصها؟

وانطلاقا من هذه التساؤلات يفترض الباحث بأن طبيعة سلوكيات وأفعال الأفراد ترتبط بدرجة كبيرة بتفكيره بذاته ومحيطه البيئي، وتتحدد وفقا لما يحتويه هذا الفضاء العام من معطيات مادية ومعنوية، تعمل على تشكيل نسق لمنظومة أفعال وسلوكات تعكس مدى امتثال الفرد لنمط البيئة الحضرية (متحضرة، متخلفة)

1- مقاربة مفاهيمية:

1-1- تعريف البيئة الحضرية:

قبل التطرق لتعريف البيئة الحضرية باعتباره مفهوم مركب وجب تحديد مفهومي البيئة ومفهوم الحضرية.

1-1-1- تعريف البيئة:

-البيئة **من الناحية اللغوية** : من الفعل (بوأ) وهي الحالة والهيئة والمنزل الذي يعيش فيه الانسان، وهي حيز جغرافي له خصائص مناخية وتضاريسية ويحتوي على الموارد التي تساعد الانسان في عيشه[1] .

- كما ان البيئة في اللغة الانجليزية Environment هي الظروف الطبيعية المتمثلة في الهواء والماء والأرض وهي المكان المحيط بالإنسان المؤثر في اخلاقه ومشاعره وأفكاره[2]. وفي اللغة الفرنسية Environnement تعني المحيط والعناصر الطبيعية المحيطة بالإنسان.

اما من **الناحية الاصطلاحية:** فتعرف على انها "تلك العوامل الخارجية التي يستجيب لها الفرد او المجتمع باسره استجابة عقلية او اجتماعية: كالعوامل الجغرافية والمناخية من سطح ونبات وموجودات وحرارة ورطوبة، والعوامل الثقافية التي تسود المجتمع والتي تؤثر في حياة الفرد والمجتمع وتشكلها وتطبعها بطابع معين"[3]

بمعنى ان البيئة هي ذلك الحيز او الاطار العام الذي يعيش فيه الانسان، ويتأثر بظروفه ويتفاعل معه بسلسلة منظمة من العلاقات، ويتحدد اطارها بالاعتماد على عواملها الثقافية والطبيعية والبيئية، وينعكس ذلك على احواله الصحية والنفسية والاجتماعية والثقافية، وقد اكد علماء الاجتماع ومنهم ابن خلدون على اهمية البيئة الجغرافية في تشكيل حياة الأفراد والمجتمعات، وهذا في حديثه عن المجتمعات الحضرية والبدوية وخصائص كل منها، كما اشارت العديد من الدراسات الى اهمية وضرورة دراسة الظروف والحوادث الخارجة عن الانسان سواء كانت اجتماعية او ثقافية او فيزيقية في تشكيل سلوك الافراد والجماعات.

1-1-2-تعريف الحضرية:

- تعرف الحضرية على أنها: "الطابع المميز للمجتمع المحلي الحضري والأسلوب الخاص الذي تتسم به طريقة الحياة في المجتمع الحضري، والذي يعد من أساسيات الخصائص المميزة للمدينة ، كما يعرفها لويس ويرث بأنها طريقة للحياة ، فتصبح بذلك الحضرية طريقة عيش سكان المدن خاصة "[4].

- كما تعتبر الحضرية نمط من أنماط السلوك، ونحن نعلم أن كل سلوك هو هادف ومنضبط وبذلك تصبح أنماط السلوك الحضرية، ضوابطها وأهدافها مستمدة مما يسود في البناء الحضري من معايير ونظم"[5].

فمفهوم الحضرية Urbanisme تعني طريقة العيش واسلوب الحياة المميزة للمجتمع الحضري، فالفرد او الانسان الذي يعيش في المدن يتبع عادة أسلوبا يتميز بنمط سوسيو- ثقافي خاص به، يتشكل انطلاقا من طبيعة الخصائص الثقافية والاجتماعية والفيزيقية التي تميز الحياة الحضرية،و الذي يفرض على الإنسان المتحضر ضرورة التكيف والتأقلم ضمن هذا الفضاء العام، من أجل الاندماج فيه

اجتماعيا ونفسيا وثقافيا واقتصاديا، وأحد مظاهر هذا التكيف هو تشكيل وتنميط سلوكيات وافعال الافراد والجماعات تتماشي وطبيعة البيئة الحضرية.

1-1-3-تعريف البيئة الحضرية:

- ويقصد بها كل ما اضافه الانسان من عناصر او معطيات بيئية تمثل نتاج تفاعله واستغلاله لموارد بيئته الطبيعية، ويتمثل ذلك في معطيات العمران وطرق المواصلات، وغيرها من معطيات الانشطة البشرية[6].

- كما يعرفها محمد عاطف غيث على انها "تمركز سكاني يتميز بالكثافة ويوجد في منطقة جغرافية نسبيا ويتجه نشاط السكان الى اعمال غير زراعية تتميز بالتخصص والارتباط الوظيفي وتتم داخل نمط سياسي معين"[7].

فالبيئة الحضرية تتباين وتختلف تبعا لاختلاف درجة تحضر الافراد والمجتمعات هذا من جهة، ونمط الكثافة السكانية من جهة اخرى، فإذا ما اعتمدنا على معيار المستوى الحضاري والتقني يمكن من خلالها ان نميز بين بيئات متحضرة ومتقدمة يملك الانسان فيها قدرة علمية وتقنية عالية الكفاءة تمكنه من استغلال موارد البيئة بما يحقق طموحاته ورغباته، وبيئات أخرى نامية و متخلفة، ينخفض فيها مستوى الكفاءة لدى الانسان ويتميز فيها بقدرات علمية محدودة وتقنية بدائية تقلل من قدرته على استغلال موارد بيئته، وإذا ما اعتمدنا الكثافة السكانية كمعيار للتمييز بين البيئات الحضرية فيمكن نصنفها الى البيئات مكتظة واخرى قليلة السكان.

كما يمكن الاشارة في هذا الموضع الى ان البيئة الحضرية لا تتحدد فقط بمستوى التطور التقني والحضاري وبالتعداد السكانية او حجم الكثافة السكانية، بقدر ما تتحدد بعوامل اخرى سوسيو ثقافية يتميز بها الافراد والجماعات ضمن البيئة الحضرية، تظهر في النسق القيمي وفي منظومة القواعد والمعايير التي تنظم الافعال والسلوكات داخل هذا الفضاء العام، وتؤطر الافكار والاتجاهات التي تتماشى وتتوافق وخصوصية المجتمع الحضري.

اذن ومن خلال تحديد وتفكيك مفهوم البيئة الحضرية يمكن ان نقدم تعريفا **اجرائيا** للبيئة الحضرية:

"وهي الوسط او الحيز الذي يعيش فيه الافراد، ويتشكل من هياكل مادية تظهر في اشكال البنايات والعمران والطرق ومختلف المرافق (اقتصادية، ادارية، اجتماعية، ترفيهية)، بالإضافة الى نمط سوسيو ثقافي تتحدد من خلاله طريقة العيش او اسلوب الحياة، متواجدة على رقعة جغرافية، كما يمكن لهذه البيئة الحضرية ان تكون بيئة متحضرة ومتقدمة يتحقق فيها نوع من التجانس والتكامل بينها وبين سلوك وشخصية الفرد القاطن بها، كما يمكن ان تكون متخلفة نظرا لوجود اختلالات وظيفية وعدم وجود تناغم وتوافق بينها وبين " .

1-2-النمط:

بالنسبة **لنمط البيئة الخضرية :** فالمقصود به حسب الباحث نوع وطبيعة البيئة الحضرية سواء كانت هذه البيئة الحضرية متطورة ومتقدمة بناءا على توفرها على جملة الشروط والمعطيات المادية واللامادية التي يتحقق من خلالها درجة من التطور وتخضع لنوع من التنظيم والتخطيط الدقيق، ويكون فيها نوع من التكامل والتجانس بين سلوك او شخصية الفرد وبين بيئته مما يحقق التوازن والتناسق ، او ان تكون هذه البيئة متخلفة حيث تنتشر فيها مختلف مظاهر التخلف (التلوث، الاحياء القصديرية، الضوضاء، غياب التخطيط والتنظيم، الآفات الاجتماعية...) ، كما يغيب فيها التجانس والتوافق بين سلوك وافعال الافراد وبين هذه البيئة.

1-3- سلوك الفرد وبعض المفاهيم المرتبطة به:

1-3-1- السلوك الانساني:

- يعرف على انه "كل ما يقوم به الفرد من انشطة مختلفة، وما يؤتيه من افعال وردود افعال في حياته اليومية وفي علاقاته مع الاخرين، وهو مجموعة من التصرفات الخارجية والداخلية التي يسعى عن طريقها الفرد لتحقيق عملية التوافق بين مقومات وجوده ومقتضيات الاطار البيئي الذي يعيش داخله"[8].

وبالتالي فالسلوك الانساني عبارة عن جملة التصرفات والافعال التي نشاهدها ونلاحظها في الفرد اثناء قيامه بمختلف النشاطات داخل الاطار او في البيئة المحيطة به، ويمكن لهذا السلوك الانساني ان

يكون له تأثير ايجابي او سلبي على هذا الفضاء العام، فيكون ايجابيا ومقبولا كلما كان متوافقا مع خصوصية ونمط البيئة الحضرية ويكون سلبيا في اذا ما تعارض معها.

1-3-2- السلوك الفردي:

- هو كل ما يقوم به الفرد من افعال وتصرفات تعبر عن شخصيته، وكل ما يتعلق به من معارف وخبرات وثقافة وقيم موروثة، وكل ما مر به من تجارب سابقة، وتعتبر البيئة (سواء كانت طبيعية او عمرانية او اجتماعية او ثقافية ...) اهم العناصر المكونة او ذات التأثير المباشر على السلوك الفردي للإنسان، وبذلك يمكن القول ان هناك تأثير واضح لثقافة الشخص والتقاليد والعادات التي نشأ عليها على سلوكه[9].

1-3-3- السلوك البيئي:

- مجموعة المواقف والتصرفات التي تصدر عن الانسان، قد تكون سلبية او ايجابية ازاء البيئة، فالسلوك البيئي غير الرشيد (السلبي) هو نتاج او محصلة السلوكيات الخاطئة نحو البيئة[10].

- كما يعرف على انه "كل ما يصدر عن الفرد من افعال وتصرفات وممارسات الظاهرة والباطنة، عقلية معرفية، مزاجية انفعالية، نفسية حركية، حيوية عصبية، وفيزيولوجية استجابة للسياق الذي يعمل او يتفاعل معه، او يعيش فيه"[11].

فطبيعة السلوكات والافعال الممارسة ضمن النسق البيئي تعكس مدى التوافق والانسجام بين الفرد والمحيط البيئي الذي يتفاعل معه، فالبيئة الحضرية بخصوصياتها تفرض على الافراد انماط واشكالا محددة من الافعال، كما تعمل على تشكيل وتنميط لثقافة بيئية تتجسد في قيم ومعايير واتجاهات تترجمها منظومة سلوكيات وأفعال تمارس ضمن هذا الحيز او الفضاء العام.

ويعرف السلوك **اجرائيا**: على انه الاستجابة الطبيعية والحتمية للفرد، تظهر في شكل ممارسات وتصرفات ايجابية او سلبية، تعكس نمط وخصائص البيئة الحضرية، كما انه عبارة عن منتوج او افراز

لتفاعل مجموعة من العوامل المادية واللامادية ضمن البيئة الحضرية، انتجت لنا ضروبا من السلوك وانماط الفعل الممارس ضمن هذا الحيز.

1-3-4- تعريف الشخصية:

- الشخصية هي مجموعة من الانشطة التي يمكن اكتشافها عن طريق الملاحظة الفعلية للسلوك لفترة كافية تمكن من اعطاء معلومات دقيقة وثابتة، بمعنى ان الشخصية هي الناتج النهائي لأنظمة عاداتنا[12].

- ويعرف "جريفت" الشخصية على انها "مجموعة الصفات التي يتصف بها الفرد والناتجة عن عمليات التوافق مع البيئة الاجتماعية، وهي تظهر على شكل اساليب سلوكية معينة للتعامل مع العوامل المكونة لتلك البيئة[13].

التعريف الاجرائي للشخصية:

هي مجموعة السلوكات والأفعال والسمات التي يتصف بها الفرد، والتي تتشكل لديه نتيجة تفاعله مع بيئته الحضرية سواء المتحضرة او المتخلفة، وتشكل لديه انماط لسلوكات وأفعال سوية وغير سوية يحددها طبيعة التفاعل مع البيئة الحضرية ونمطها، وتتمظهر شخصية الفرد في سلوكاته وأفعاله ضمن المجال الذي يعيش ويتكيف معه.

2-رؤية تحليلية لعلاقة نمط البيئة الحضرية بتشكيل السلوك:

2-1- المبادئ الاساسية في تحديد العلاقة بين الانسان والبيئة:

هناك مجموعة من المبادئ التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار اثناء التطرق لعلاقة الفرد وسلوكه بالبيئة الحضرية وما يطرأ عليها من تغيرات وتأثيرات.

- **المبدأ الاول**: تعقد العلاقات بين الإنسان والبيئة وتشابكها إلى ابعد الحدود، ويزيد من هذا التعقيد تعرض هذه العلاقات دائما للتغيير والتعديل نتيجة للتقدم الثقافي والاجتماعي والتكنولوجي الذي يحرزه المجتمع، فليس من شك أن هذا التقدم يساعد على تحكم الإنسان في البيئة بعد أن يكون خاضعا لها.

- **المبدأ الثاني:** ويقوم على اعتبار أن كل التغيرات التي يحدثها الإنسان في الطبيعة، هي ظواهر ايكولوجية لا يمكن فهمها فهما صحيحا إلا في ضوء العلاقة الثلاثية القوية التي تقوم بين الإنسان والمجتمع والبيئة، ومع التسليم بقوة هذه العلاقة فان اثر البيئة يكون أوضح في المجتمعات البسيطة منه في المجتمعات الصناعية المتقدمة.

- **المبدأ الثالث:** أن الإنسان يوجد في البيئة ويمثل جزء منها، وليس خلقا خاصا يوجد ويعيش بمعزل عن الأنساق الأخرى، بحيث يؤثر فيها من الخارج دون أن يتأثر بها أو يتفاعل معها، بل ان تأثير الإنسان في البيئة إنما يتم عن طريق المجتمع ومن خلاله، وليس المجتمع سوى وحدة معقدة ومتكاملة لها خصائصها المميزة، التي تظهر من خلال التفاعل القائم بين أعضاء ذلك المجتمع .

- **المبدأ الرابع:** انه بالرغم من التسليم بأثر البيئة في الحياة الاجتماعية في كل المستويات الثقافية والاجتماعية، فان هذا التأثير لا يتم بصورة مطلقة فكل ما تفعله البيئة هنا هو تقديم إمكانيات عديدة للحياة الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات، بحيث يستطيع الناس أن يختاروا في الغالب من بين هذه الإمكانيات ما يتفق مع ثقافتهم وتنظيمهم الاجتماعي، وليس أدل على ذلك من أننا نجد اختلافا في أساليب المعيشة والعمل في البيئات المماثلة من ناحية، وأيضا هذا الاختلاف في البيئة الواحدة ولكن في الأوقات والأزمنة المختلفة من ناحية أخرى.

- **المبدأ الخامس:** ضرورة التعرف على تأثير العوامل البيئية على التنظيم الاجتماعي، وبالتالي على التغيرات التي تحدث للأفراد والجماعات، والجهود التي يبذلونها للتكيف مع البيئة، سواء اتخذت العملية شكل الاكتفاء باستغلال ما تقدمه البيئة من ثروة، أو شكل التحكم في الظروف البيئية والجغرافية والسيطرة عليها واكتشاف الموارد والثروات الدفينة وتشكيلها في قوالب وأشكال جديدة وكشف الجوانب السلبية لهذا التدخل[14].

2-2- المكونات التي تتدخل في التأثير على سلوك الفرد في البيئة الحضرية:

في حقيقة الأمر تتدخل بعض العمليات السيكولوجية للإنسان والخصائص الفردية له، في التأثير على تصميم ونمط البيئة الحضرية التي يعيش فيها، حيث يتضح وجود مجموعة من المكونات التي تؤثر

على سلوك الفرد، بعضها يرتبط بخصائصه الثقافية والاجتماعية وخبراته، ويرتبط البعض الآخر بنمط وعناصر البيئة التي يتواجد فيها ، وهذه المكونات هي:

- **الخصائص الفيسيولوجية:** وهي القدرات الفسيولوجية للإنسان والتي تؤثر على إدراكه، وبالتالي استجابته السلوكية في البيئة الحضرية التي يتواجد فيها ويتضمن ذلك القدرات الحسية والبدنية.

- **الشخصية:** وهي شخصية الفرد وصفاته التي تميزه عن غيره من الأفراد وتجعله متفردا في الطريقة التي يتفاعل بها مع البيئة المحيطة به.

- **المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد:** وتتعلق بالإطار الذي يتواجد فيه الفرد، والذي تتحدد من خلاله القواعد التي يسلكها، ويتضمن ذلك الإطار العلاقات التي ترتبط بين الأفراد في موقف ما ودور كل منهم، والذي يفرض نمط لسلوكيات معنية على كل منهم.

- **الخلفية الثقافية:** التي تعتبر مجموعة القيم والتصورات والمعتقدات للمجتمع الذي ينتمي له الفرد والتي توجه سلوكه وتشكل خبراته.

- **البيئة المادية:** يرتبط كل ما يفعله الإنسان بوجوده في حيز ما، لذلك فان جميع خصائص البيئة المادية تؤثر على السلوك الإنساني بما يتضمن الظروف المناخية والخصائص والمكونات التشكيلية للبيئة الحضرية من أشكال وألوان ومساحات ومرافق وغيرها[15] .

2-3- تأثير الفرد في البيئة الحضرية:

مما لاشك فيه أن الإنسان يؤثر في البيئة التي يعيش فيها، وهذا عن طريق سلوكياته وأفعاله تجاه البيئة، إذ يمكن أن يتحكم أو يغير من نمط البيئة أو الوسط الذي يعيش فيه ويتفاعل معه، عن طريق ما اكتسبه من سلوكات وأفعال، وبطبيعة الحال إن كانت سلوكيات الفرد ايجابية بالدرجة الأولى يمكن له أن يخلق ويشكل بيئة حضارية متقدمة ومتطورة من خلال تعديل وتقويم كل معطيات البيئة الحضرية والإسهام في تطويرها، أما في حالة ما إن كانت هذه السلوكيات الممارسة سلبية فهي تنعكس على البيئة الحضرية التي يعيش ويتفاعل معها، وتظهر من خلال انتشار العديد من المظاهر والمؤشرات السلبية (

التلوث، الأحياء المتخلفة، السرقة...)، وإحداث خلل في نظامها الايكولوجي وما يصاحب ذلك من مشكلات أخرى، إذ يقدم الفرد على القيام بسلوكات وأفعال سلبية تحد من تطوير البيئة المحيطة وتعرقل عملياتها.

2-4- تأثير البيئة الحضرية على السلوك الإنساني:

وظيفة البيئة الحضرية هي تحقيق هدفين رئيسين:

اولا : تحقيق الجانب المادي كالعمران ، طرق ومواصلات ، مرافق ...الخ .

ثانيا : تعريف البيئة الحضرية باعتبارها بيئات محيطة بالإنسان، ويبرز ذلك التعريف في الوظيفة المعنوية للبيئة فالإنسان هو مركز تلك البيئة، كما انه يتكامل ويتوافق معها، أي انه يؤثر فيها ويتأثر بها، وبذلك فان لخصائص وسمات أو نمط البيئة الحضرية دور يتحقق من خلال تكاملها مع أنماط السلوك الإنساني وشخصيته فيها، مما يجعل تلك الخصائص ترتبط بعديد من العمليات السيكولوجية عند الإنسان، ويمكن القول بان وظيفة البيئة ببعديها المادي والمعنوي ماهي إلا مخرجات للعملية التصميمية لتلك البيئة.

وقد تناول " **LANG** " تفسير العلاقة المركبة بين المدخلات والمخرجات والعمليات السيكولوجية من خلال التأكيد على الأهداف التصميمية للبيئة الحضرية، التي تتشكل من خلال عمليات سيكولوجية (إدراك، معرفة، سلوك)، وبين عناصر ومكونات تؤثر على سلوك الإنسان تتمثل في قدرات وخصائص فردية وإطار اجتماعي وثقافي ومادي[16] .

2-5- التأثير المتبادل بين البيئة الحضرية وسلوك الفرد:

تعتبر البيئة الحضرية بالنسبة للإنسان ذات أهمية في تشكيل نمط شخصيته وسلوكه، فهي تؤثر في شخصية الفرد وتسهم في تغيير سلوكياته، كما يشكلها هو وفق لاحتياجاته و سلوكاته.

ومن هنا تتضح أهمية الاعتبارات والأنماط السلوكية للفرد داخل البيئة التي يعيش فيها، والتي تشكل له الوعي الكامل للتأثير في بيئته، وهذا بشكل سلبي أو ايجابي حسب درجة التوافق والانسجام بين سلوك الفرد و نمط البيئة الحضرية، فقد أكد**Lynch**أن المصممين يشكلون البيئة ليستطيع الفرد القيام فيها بما يريده فعلا أو لإعطائه فرصا أخرى للتصرفات وردود الأفعال بما يتلاءم مع نمط البيئة المحيطة،

فالبيئة تؤثر في شخصية الفرد وتخلق منه فردا يتسم بسلوكيات وأفعال تتأثر بها عند تواجدهم وتفاعلهم فيها، وذلك من خلال بعديها المادي والمعنوي، فالخصائص التي تتسم بها البيئة الحضرية تفرض بالدرجة الأولى ممارسة سلوكيات معينة، بينما قد تمنع ممارسة سلوك آخر، أي أنها موجهة للسلوك، وتساهم بشكل كبير في تشكيل شخصية الفرد والتأثير عليه سواء بشكل ايجابي أو سلبي، وهذا حسب نمط البيئة الحضرية من جهة ، وكذا طبيعة قاطنيها.

3- المداخل النظرية في تفسير العلاقة بين سلوك الافراد والبيئة الحضرية:

3-1- المدخل النفسي:

ركز علماء النفس على دراسة سلوك الإنسان من منظور تقليدي، واهتموا بالسمات الفردية والشخصية مثل: الذكاء والعمليات السيكولوجية التي تحدث داخل العقل البشري مثل التفكير وحل المشكلات وتغيير المشاعر والميول.

فقد نظر علماء النفس للبيئة التي يعيش فيها الأفراد على أساس أنها متغيرة في تأثيرها على السلوك، كما انه تم التعامل معها من منظور الأفراد تحت الدراسة، حيث أن لكل فرد قدراته الخاصة ومفهومه الشخصي عن البيئة التي يدركها، وبذلك فان البيئة المؤثرة على سلوك الإنسان غير ثابتة ومتغيرة بتغير الأفراد[17]، ومن هنا فانه لا يمكن التنبؤ بسلوك الفرد من خلال معرفة المواقف التي يتواجد فيها،أو الخصائص المتعلقة بالبيئة الحضرية التي تشكل تلك المواقف، وبالتالي لا يمكن الحصول على صيغة واضحة مجردة مثل الخرائط السلوكية التي تترجم السمات المادية للبيئة إلى سلوك يمارسه الأفراد،أو الخبرات التي تنتقل إليهم من خلال تلك السمات، وبذلك فقد تم إثبات عدم فعالية هذا المدخل في اختبار العلاقة بين البيئة والسلوك[18]، خاصة أن تلك الاختبارات تم إجراؤها داخل معامل الأبحاث حيث تدخل عناصر خارجية في التأثير على السلوك، منها المكان والأفراد المحيطون بتلك الأماكن، ومع تطور العلم السيكولوجي تأكدت أهمية البيئة الكلية في التأثير على السلوك الإنساني بدلا من علم النفس التقليدي الذي يركز على السلوك الفردي والنظر نحو المحتوى السلوكي، وهو ذلك الإطار الذي يضم كافة المعاملات بين الأفراد وبين المكونات الاجتماعية والمادية للبيئة المحيطة بهم، كما تركز اهتمام علماء

النفس بتأثير البيئة على السلوك الإنساني، إلا أن هذا الاهتمام كان مقتصرا على بعض العناصر (التلوث الضوضاء وغيرها) في تأثيرها على سلوك الأفراد، ومع ظهور نظريات علم النفس الايكولوجي تم توجيه اهتمام الباحثين إلى الخصائص المادية والاجتماعية كمحدد أساسي لسلوك الفرد.

و بناءا على ذلك يعد محور الاهتمام الأساسي للدراسات في مجال علم النفس البيئي هو المكان وعلاقته بسلوك الإنسان، وكيفية إدراك وفهم الأفراد للبيئة الحضرية ومعطياتها، ويتم تحليل السلوك الفردي عن طريق ربط الصفات الفردية بالإطار الاجتماعي والإطار المادي لكل موقف، وتطرقت دراسة **Stokoles**[19]،إلى مدخل جديد في دراسة العلاقة بين البيئة الحضرية وبين سلوك الإنسان حيث أوضحت الدور الايجابي لسلوك الأفراد في تغيير وابتكار أنماط مختلفة للبيئة المبنية ويعرف بالتعاملات المتبادلة، و بناءا على دراسة **Stokoles** فان سلوك الفرد في علاقته بالبيئة يؤثر في خصائص تلك البيئة كما يتحدد ويتأثر بها، وبذلك فان دور الخصائص المادية للبيئة لا ينحصر فقط في كونه عاملا مؤثرا على سلوك الأفراد بل إن هذه الخصائص هي في حد ذاتها منتج اجتماعي وثقافي لهؤلاء الأفراد يعبر عن احتياجاتهم وقيمهم ومعتقداتهم.

2-3- المدخل الاجتماعي:

يؤكد هذا المدخل إلى انه لا يمكن النظر الى البيئة الحضرية باعتبارها مجرد تجمع لأفراد وجماعات ونشاط وسيطرة على العمران، ولكنها عبارة عن مجموعة من النظم الاجتماعية التي تعطي للمكان خصائصه، وتضفي عليه طابعه الخاص، وبالتالي فهذه النظم هي التي توجه الإنسان للتكيف مع البيئة الحضرية بمميزاتها، والسيطرة عليها واستغلال مواردها لإشباع حاجاته[20]،ويقصد بالبيئة الحضرية تلك البيئة التي أوجدها الإنسان داخل البيئة الطبيعية، سواء ما تعلق منها بنمط الثقافة (البيئة الثقافية) أو العلاقات الاجتماعية(البيئة الاجتماعية)،التي تشكلت بين الافراد والجماعات ضمن هذا الفضاء العام، فهي بيئة يظهر فيها تفاعل الفرد وبيئته من ناحية وتعكس درجات استجابة مختلف، ومن ناحية أخرى علاقة الإنسان بالإنسان، والتي تحدد بالنظم والتنظيمات الاجتماعية التي توجد في المجتمع وتتمثل في:

-البيئة الثقافية: وهي بيئة استحدثها الإنسان، وذلك بإضافة مفردات جديدة إلى البيئة الطبيعية والاجتماعية، وتتكون من البيئة الثقافية من عنصرين:

- الجانب غير المادي ويتمثل في العادات والتقاليد.

- الجانب المادي ويتمثل في الثقافة المادية التي هي نتاج التكنولوجيا، والتي تعد عاملا وسيطا بين الإنسان والبيئة الطبيعية[21].

- البيئة الاجتماعية[22]: وهي بيئة تشمل العلاقات الاجتماعية التي أقامها الإنسان، وانشأ خلالها النظم الاقتصادية والسياسية والأسرية، وتضم البيئة الاجتماعية ثلاث عناصر:

-الخدمات الاجتماعية العامة التي تحتويها البيئة الاجتماعية.

-مناطق العمل والتجارة داخل البيئة الاجتماعية.

-الخصائص الاجتماعية للسكان وتعني حياة السكان وأماكن تجمعهم ونشاطاتهم وتوزيعهم وظروفهم.

وقد أوضح **سومر Somer**أن البيئة تمثل وسطا أو محيطا يشجع أنماطا مركبة من السلوك الاجتماعي، وأكد " كيلر " على المشاركة في بيئة واحدة تعطي لقاطنها شخصية معينة تؤثر على أنماط العلاقات الاجتماعية، وذهب العلماء الاجتماعيون أمثال **برجس** و **ما كينزي** و **ويرث** إلى أن تنوع البيئات الحضرية لها تأثيرات جوهرية على السلوك الإنساني والتنظيم الاجتماعي، فطبيعة السلوكيات والافعال التي تتشكل لدى الافراد هي منتوج لأنماط وتفاعلات الوسط الحضري وتعكس خصائص البيئة الحضرية.

3-3- المدخل التفاعلي:

يستند هذا المدخل في تحليلاته على التفاعل بين الأفراد وبين البيئة الحضرية من الناحيتين السلبية والايجابية، ويعد التفاعل الايجابي أكثر أهمية في هذا الوسط او الفضاء العام، من منطلق أن العلاقات الايجابية والسلبية بين الأفراد والبيئة تميل إلى التوازن والتوافق لو أن البيئة تتسم بنوع من الاستقرار، والواقع أن التفاعلات الايجابية بين السكان والبيئة تتخذ ثلاث أشكال وهي:

- المعايشة: وهي نمط بسيط من التفاعل الايجابي الذي تستفيد خلاله إحدى الجماعات، بينما لا تتأثر الجماعات الأخرى بهذه الاستفادة بشكل أو بأخر.

- **التعاون متعدد المجالات**: في حالة كانت المجموعات تستفيد كل منها من الأخرى،ولكن الاستفادة ليست ضرورية أو جوهرية لبقاء كليهما.
- **العلاقة التبادلية**: إذا كانت المساعدة ضرورية وأساسية لبقاء كلا المجموعتين.

ومن خلال المستويات الثلاث السابقة يتحدد نوع السلوك الإنساني باعتباره أساس العلاقة للتفاعل، ومن ثم يمكن القول أن هذا المدخل يعني بدراسة السلوك الإنساني ويؤكد على ذلك المعنى "**جون اجنو**" و "**جون ميرسر**" و "**دافيد صوفر**" من خلال طرحهم بأنه يمكن إرجاع نمط تشكيل سلوك وشخصية الفرد في البيئة الحضرية إلى الممارسات والأفكار التي تنتج عن الخبرات والخلفيات المشتركة النابعة من الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية تنعكس على أنماط البيئة الحضرية[23] .

إذن من خلال ما تم التطرق اليه في هذه الورقة البحثية يمكن ان **نستنتج** ما يلي:

- تصميم البيئة الحضرية لا يجب التعامل معه بطريقة عشوائية ولكن لابد أن يتحقق التوافق مع أنماط السلوك المرغوبة.
- نمط البيئة الحضرية تفرض نمط شخصية تظهر في سلوكات وأفعال الأفراد.

- البيئة الحضرية المتقدمة والمتطورة تساهم في تشكيل نمط لسلوكيات وافعال ايجابية ذو فعالية تتوافق وتنسجم ونمط البيئة الحضرية.
- البيئة الحضرية المتخلفة تساهم في تشكيل نمط لسلوكيات وافعال سلبية تخلق مشكلات وتساهم في توسيع الاختلالات الوظيفية بين الفرد والبيئة المحيطة وتفرض ممارسات وأفعال عنيفة.
- نمط الشخصية الايجابية للفرد تساهم في تطوير البيئة الحضرية ومعطياتها ويظهر ذلك في سلوكات وأفعال الأفراد.
- نمط الشخصية السلبية للفرد تؤدي إلى بروز وتشكل مختلف المشكلات الحضرية والاجتماعية (التلوث، انتشار الأحياء المتخلفة ، انتشار الآفات الاجتماعية ...)
- هناك علاقة متبادلة التأثير والتأثر بين نمط البيئة الحضرية وتشكيل سلوك الفرد.
- نمط البيئة الحضرية يتحدد بشخصية قاطنيها والتي تظهر في ممارساتهم و سلوكاتهم اليومية.
- هناك أهمية كبيرة للأنماط السلوكية للأفراد داخل البيئة الحضرية، والتي تشكل لهم الوعي الكامل للتأثير في بيئتهم، وهذا بشكل سلبي او ايجابي حسب درجة التوافق والانسجام بين سلوكاتهم وافعالهم وأيضا البيئة الحضرية ونمطها .

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج
الرقم الدولي المعياري ISSN:2602-702X الترقيم الدولي الالكتروني: 2592-2773
الايداع القانوني :ديسمبر 2017

الهوامش:

1-رشوان احمد، حسين عبد الحميد،**البيئة والمجتمع – دراسة في علم اجتماع البيئة** – الاسكندرية: الكتاب الجامعي الحديث، 2006، ص4.

2- نفس المرجع، ص6.

3-السيد علي صالح جمال الدين، **الاعلام البيئي**، مركز الاسكندرية،2003.

4-الجولاني فادية عمر، **علم الإجتماع الحضري**، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1993، ص 10-12.

5-الخشاب مصطفى ،**علم الإجتماع الحضري**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1968، ص 27.

6-رشوان احمد، المرجع السابق، ص 152.

7-غيث محمد عاطف، **قاموس علم الاجتماع**، مصر: دار المعرفة الجامعية، 2006، ص 53.

8- سيد محمد عبد العال وآخرون، "**دراسة الاتجاهات والممارسات السلوكية للمرأة نحو مشكلة التلوث**"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 3، 2000، ص 979.

9-محمد سعد عبد الحميد، **دراسات في علم الاجتماع الثقافي**، القاهرة: نهضة الشروق، 1980.

10-اللقاني احمد حسين، فارغة محمد حسن، **التربية البيئية بين الحاضر والمستقبل**، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 1999، ص20.

11-ضاهر حنان احمد، **السلوك البيئي في مرحلة المراهقة وعلاقته بالعجز المتعلم ومهنة المستقبل**، رسالة ماجستير، كلية التربية،جامعة دمشق، 2014، ص 43.

12-مصباح عثمان أكرم، **مستوى الأسرة وعلاقته بالسمات الشخصية والتحصيل الدراسي**، ط 1، بيروت: دار ابن حزم، 2002، ص 43-44.

13-القذافي رمضان محمد، **الشخصية - نظرياتها واختباراتها وأساليب قياسها**-، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2001، ص 17.

14-مزاهرة ايمن سليمان، علي فالح الشوابكة، **البيئة والمجتمع**، ط 1، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2003، ص 62.

15 -Lang, j et al " fundamental processes of environmental behavior " - in john Lang. (EDS), designing for human behavior: architecture and the behavioral sciences. stoudsbury, Dowden:Hutchinson & Ross, Inc , 1974 .

16 -opcit.

17-Wicker , A.W " An introduction to ecological psychology " – Belmont , CA : Wads Worth Inc – 1979 .

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج
الرقم الدولي المعياري 2602-702X:ISSN الترقيم الدولي الالكتروني: 2592-2773

الايداع القانوني :ديسمبر 2017

18- Proshansky , H,M .& Fabian , A,k " the development of place identity in child in " spaces for children " the built environment and child development " C,S Weistein & Tdavid (eds) – new York : pelnum , 1987 .

19- Stokoles , D & shumaker , S,A - people in places a transactional view of settings in cognition , social behavior , and the Environment hillsdall J.H hrey (ed) , - New Tersy, Erlbaum - 1981 .

20-ابو رية سوزان احمد، **الإنسان والبيئة والمجتمع**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999، ص 84.

21-الهمشري محمد مصطفى، "**التراث الثقافة والعمارة وتحديات العولمة** "،المؤتمر الدولي الأول (العمارة والعمران والثقافة، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، 2006، ص 464.

22- عبد الحميد، مرجع سابق.

23- سوزان احمد، مرجع سابق، ص 79.